الأهرام

المصدر: الحياه

التاريخ : ٣١ مارس ٢٠٠٢

وحدها من تغير

الولايات المتحدة الأميركية وسبعة أشهر بعد ١١ أيلول...

منير شفيق

منذ الأيام الأولى التي تلت هجمات ١١ أيلول (سبتمبر) انعقد شبه اجماع بين المحللين السياسيين على ان العالم بعد ذلك التاريخ لن يكون كما كان عليه قبله.

وها قد مضت سبعة أشهر على هذه المقولة تكفي لوضعها تحت امتحان الوقائع.

فلو دقق المرء في سرعة التغيرات التي يشهدها العالم منذ انتهاء الحرب الباردة، وهذه بحد ذاتها جعلت العالم من بعدها غيره من قبلها، لوجد السرعة كبيرة، ويمكن وصفها بالهائلة قياساً بمرحلة الحرب الباردة.

وثمة جانبان رئيسيان يمكن تحديدهما معياراً لتغيير عالمي، أو اقليمي أو على مستوى عدة بلدان: الأول التغيير في ميزان القوى والعلاقات في ما بين الدول الكبرى من جهة، وفي ما بينها وبين بقية دول العالم من جهة أخرى.

اما المستوى الثاني فكيفية انعكاس المتغير الأول على الأوضاع الداخلية في عدد مقدر من البلدان.

وإذا اتخذنا هذين الجانبين معياراً في قراءة العالم ما قبل انتهاء الحرب الباردة وبعدها، فسنجد ما حدث من تغير في ميزان القوى والعلاقات الدولية واضحاً لا جدال فيه من حيث انتهاء عالم ما قبلها.

ولهذا ثمة اجماع، في هذا الصدد، على ذلك.

اما عالم ما بعدها فكان في طور التشكل، وضمن اكثر من اتجاه، مما جعل تحديد سماته موضع خلاف، مثلا بين من قالوا ان النظام العالمي اصبح نظام القطب الواحد وقضي الأمر، ومن قالوا ان العالم دخل مرحلة صراع بين اتجاه اميركي لفرض نظام القطب الواحد، واتجاه دولي عام لجعله نظاماً متعدد القطبية.

وما زال الأمر في بدايته.

ثبت على أرض التجربة ان القول الثاني كان أكثر دقة بدليل ما حدث خلال العشر سنوات الماضية من صراعات وتقلبات في علاقات الدول الكبرى ببعضها، أو بالنسبة الى العلاقات الدولية عموماً.

ومن هنا جاءت ردود أفعال أميركا على هجمات ١١ أيلول، وليس بسبب الهجمات في حد ذاتها، لتضع استراتيجية حرب عالمية تستهدف النظام العالمي السابق لها بأسره.

فلم يعد من السهل أن يناقش بعد مضي ستة أشهر ان كان الهدف «حرباً على الارهاب» كما هو معلن، أم يتعدى ذلك لفرض سيطرة أميركية عالمية احادية عسكرية (عسكرية في مرحلتها الأولى). وقد وصل الأمر بالبعض الى الحديث عن «امبراطورية عالمية» من نمط جديد.

على أن الملاحظ من تجربة نصف السنة المنصرمة على أحداث ١١ أيلول، وبالتحديد على انطلاق استراتيجية الحرب العالمية التي اعلنتها أميركا من طرف واحد، وكانت في صدد فعل ذلك منذ مجيء ادارة بوش - ديك تشيني - رامسفيلد، ان ما حدث من تغيير توقعه بعموميته من قالوا ان عالم ما بعد ذلك التاريخ سيكون غير عالم ما قبله.

ولكن كان من تفاصيله غير المتوقعة ما مسّ علاقة اميركا بحلفائها في حلف الناتو حيث راحت تطالبهم بالتسليم لها بزعامة شبه مطلقة عليهم، بما لا يستبقي المعادلة التي قام عليها ذلك الحلف.

فالذي تغير بشكل أساسي هنا هو اميركا وموقفها من حلفائها وليس هؤلاء الحلفاء وموقفهم منها.

فهم ما زالوا يأملون في العودة الى المعادلة نفسها، وهم يمانعون فداحة السيطرة التي تريد أميركا فرضها عليهم. طبعاً اذا استمر هذا الاتجاه الجديد ستبدأ التغيرات باخذ طريقها الى أوروبا والحلفاء الكبار الآخرين ليغيروا، على هذا النحو أو ذاك، ما بأنفسهم واستراتيجياتهم.

القول ان اميركا هي التي تغيرت باتجاه اعادة تنظيم علاقاتها بأوروبا وحلفائها الآخرين، وليس العكس، ينطبق كذلك على ما حدث من تغير في استراتيجيتها بالنسبة الى علاقاتها بروسيا والصين واليابان ومختلف دول العالم، لا سيما علاقاتها بالعرب والمسلمين والاسلام.

وبكلمة، فان اميركا هي التي تغيرت هنا لأنها تريد أن تفرض بالقوة العسكرية تغييراً على العالم كله، فيما راح الآخرون يجدون صعوبة قصوى لتقبل المطلوب منهم، فجعلوا يراوغون بين التكيف والممانعة بهدف العودة الى المعادلة السابقة في العلاقات الدولية قدر الامكان.

المتغير الثاني الذي راح يجتاح اميركا نفسها، وهو بالتأكيد مرتبط باستراتيجية الحرب العالمية التي راحت تشنها في كل ارجاء المعمورة، كأنها تخبط خبط عشواء، هو الموقف من مجموعة قيم كانت تقدم نفسها من خلالها الى ذاتها والى العالم.

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية

فمنذ صدور قانون «مكافحة الارهاب» وقانون «يو إس باتريوت اكت» والاعلان عن المحاكم العسكرية ونظامها وصلاحياتها، ومنذ السياسات التي اعلنها دونالد رامسفيلد وزير الدفاع حول الأسرى ابتداء من ابداء رغبته في قتلهم، لا قبول اسرهم، ومروراً بجريمة أو بمجزرة، قلعة جنجي، وصولاً الى غوانتانامو، ورفض تطبيق اتفاقيات جنيف الخاصة بأسرى الحرب عليهم، ولا حتى معاملتهم معاملة السجناء المتهمين أو المحكومين بارتكاب جرائم بشعة، ومنذ ترجم كل ذلك عنصرياً في التنفيذ، رمت ادارة بوش وراء ظهرها تلك القيم التي حملت عناوين مثل الحرية والديموقراطية وحقوق الانسان وسيادة القانون، وتطبيق قانون البيّنات في المحاكم.

إذا كان تقديم أميركا لنفسها في الماضي من خلال تلك القيم مطعوناً فيه لا سيما من ناحية الازدواجية في التعامل واياها، فانها اليوم لا تريد ان تستبقي حتى تهمة الازدواجية فأحلت مكانها وجهاً واحداً سافراً هو الدوس على تلك القيم، والسير باتجاه اذهل، واقلق، واحرج، الكثيرين من المدافعين عن النظام الأميركي في الداخل، ومن المتعاطفين معها بسبب تلك القيم في الخارج.

وبهذا تكون ردود فعل ادارة جورج بوش الابن على أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، تسمح بالقول ان اميركا هي التي تغيرت وليس العالم من جهة ما طرأ من تغيير داخلي في بلدانه حتى الآن على الأقل، أو كما بدت الصورة عند مراجعة الشهور الستة الماضية. وفي الحقيقة لا يستطيع أحد أن يقول ان تلك الأحداث هي التي حتمت ذلك، أو ان ردود فعل اميركا الرسمية لم يكن أمامها غير طريق واحد فقط، وعلى الكيفية التي عبرت عنها الادارة الأميركية.

فإذا كان من المسلم به ان ما من حدث الا ويمكن ان يرد عليه من خلال عدة بدائل، فإن مراجعة السياسات التي سبق وتبنتها ادارة بوش في علاقاتها الدولية تؤكد ان الخيار الذي بدا كما لو أنه ردة الفعل على ١١ أيلول (سبتمبر) كان استمراراً لها.

فما يحدث الآن هو مجرد تصعيد لاستراتيجية العودة الى بناء الدرع الصاروخية المضادة للصواريخ، والى التهيئة للانسحاب من اتفاقية ١٩٧٣ مع روسيا حول الحد من انتشار الأسلحة الباليستية، والى إعادة النظر بكل الاتفاقات الدولية، بما فيها الانسحاب من، أو عدم التوقيع على، هذه الاتفاقية الدولية او تلك.

انه التصعيد لاتجاه الهيمنة على العالم.

هنالك عدد من النشطاء اليساريين الأميركيين يرون ان الاجراءات التي مست حقوق المواطن وسيادة القانون، وحتى الدستور الأميركي، في الداخل، كانت لها بدايات قبل الحادي عشر من أيلول ولها تفسير من خلال الانزعاج الذي سببته الاحتجاجات في الشوارع من سياتل الى نيويورك لدى بعض الأوساط العليا الأميركية.

وثمة عدد من العاملين في حقل الجمعيات والمؤسسات الاسلامية يرون أن ما وجه الى العرب والمسلمين الأميركيين من اعتقالات واجراءات تعسفية بعد ذلك التاريخ له بدايات وسوابق.

والأهم مُهد له اعلامياً عبر حملات ضد العرب المسلمين شنتها مؤسسات صهيونية بسبب تعاظم نشاطهم السياسي والاجتماعي، خصوصاً بعد تدخلهم المنظم في الانتخابات الرئاسية الأميركية الأخيرة.

وبالمناسبة يبدو أن جورج بوش الابن الذي أفاد من ذلك في نجاحه الضعيف على منافسه آل غور، لم يكن سعيداً بأن يكون لتجمعات عربية واسلامية أي فضل في ذلك النجاح، فارتد عليها بأقسى مما كان سيفعل منافسه ذاك، لأنه من غير المقبول في «الاستراتيجية الأميركية العليا» ان يكون للعرب والمسلمين مركز قوة (لوبي) فاعل، أو مؤثر، في السياسة الأميركية.

ولعل الهجمة الأخيرة على ٢٤ جمعية ومؤسسة اميركية مسلمة معروفة باعتدالها وسلميتها تشكل دليلاً على ذلك.

وهو ما كشف عنه تصريح مدير عام المعهد الاسلامي عبدالوهاب القبسي: «لقد أكدنا للرئيس جورج بوش وللبلاد دعمنا للحرب ضد الارهاب، وعرضنا مساعدتنا، الا ان عمليات دهم مثل هذه تعطي جاليتنا الشعور بانها مستهدفة» («الحياة» ٢٠٠٢/٣/٢٣).

فأميركا هي وحدها من تغير، او اول من تغير، ولكن بتواصل مع ماض وجوهر. بيد انه تغير نوعي من اوجه عدة. واميركا هي التي ستغير في عالم مابعد ١١ أيلول. ولكن لن يكون العالم على قياسها، وكما تحب. فهنالك دائماً أكثر من احتمال واتجاه لنتائج الصراعات العالمية، وفي مقدمتها فشل من يحارب العالم كله.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية